بسم الله الرحمن الرحيم

الدور السياسي للقائد العسكري الكوشي بانحسي في مصر

نعمات عمر عبد الجبار

أستاذ مشارك

قسم التاريخ - كلية التربية – جامعة الخرطوم

مستخلص الدراسة :

تهدف هذه الدراسة لتتبع الدورالذي لعبه الجنود الكوشيون في مصر منذ وقت مبكر، وكيف كان الملوك المصريون يعلمون تماماً ما يمتاز به الجندي الكوشي من شجاعة وإقدام وإخلاص، لذلك استعانوا بهم منذ عهد الدولة المصرية القديمة، كما ساهم الجنود الكوشيون في وضع حد للصراع الذي حدث بين الأمراء من أجل السلطة خلال فترة الاضمحلال الأولى، وتعاون الجنود الكوشيين مع المصريين في طرد الهكسوس في مطلع الدولة الحديثة. ظهرت خلال تلك الفترة شخصيات كوشية عديدة كانت لها أدوار مهمة في مجريات الأحداث في مصر. تعتبر شخصية بانحسي واحدة من تلك الشخصيات، فقد استعان به الفرعون رعمسيس الحادي عشرلوضع حد للثورة التي حدثت في عهده، فلم يتردد وذهب بجيشه وقضى عليها، لكنه لم يستغل نفوذه كنائب للملك في كوش وكأكبرقوة موجودة في مصر في تلك الفترة، إنما ظلت كوش على ولائها لمصر طوال فترة الضعف الذي أصابها على أيام الرعامسة.

Abstract:

The purpose of this research is to highlight the role played by the Kushite soldiers in Ancient Egypt and how the Egyptian kings acknowledged their bravery, performance and loyalty. The Egyptian kings sought their assistance in putting down disputes among the inheritors of the throne during the weakness of the intermediate period. The Kushite and Egyptian armies also cooperated in expelling the Hiksos in the beginning of the Egyptian New Kingdom. Many prominent Kushites played important roles in the political affairs of the kingdom at that time.

Banahsi was one of those prominent Kushite soldiers who assisted king Ramsis XI in suppressing the uprising during his reign. Banahsi and his army defeated the rebellions and were of great strength and they remained loyal to the ruling Dynasty and supported them even though they were very weak.

المقدمة:-

بدأت عوامل الضعف في مصر منذ عهد الأسرة العشرين وهي أسرة الرعامسة التي أسسها رعمسيس الثالث حوالي عام (1184-1151 ق.م) والذي بدأت على أيامه الأمور تتغير في الداخل. وفي كوش أصبح رئيس كهنة آمون حاكماً على كوش منذ أوآخر الأسرة العشرين واستمر كذلك حتى عصر الأسرة الحادية والعشرين (نبيلة، بدون تاريخ، ص.133-134). وفي حقيقة الأمر أن كل الرعامسة

تشابهوا في ضعفهم وخضوعهم لسلطان الكهنة، وفي عجزهم عن التغلب على الأزمات الاقتصادية التي بدأت تطحن البلاد، كما تشابهوا أيضاَ في عدم استطاعتهم في وقف الفوضى والإنحلال التي عمت في جميع مرافق الدولة واستفحل ظلم الموظفين للطبقات الفقيرة (عبد العزيزوآخرون،1997،ص.302).

أصبح الجيش على أيام هذه الأسرة يعتمد على المرتزقة الأجانب، فالظروف الداخلية والخارجية التي أحاطت برعمسيس الثالث اضطرته إلى أن يلجأ إلى تجنيد الأجانب في الجيش ليكونوا عوناً له ضد أعدائه في الداخل (مهران،1993، ص.378-380). فأخذ الأجانب من إغريق وآسيويين وكوشيين يظهرون بكثرة في مصر، وتفتت السلطة السياسية بين أمراء الأقاليم، بل وإنقسمت الوحدة الحضارية لمصر فأصبحت الدلتا تتنفس في الجو الإغريقي ومنطقة الصعيد تتنفس في الجو الكوشي (العزب،1980، ص.33- 34).

عمل الكوشيون في عهد الفرعون رعمسيس الثالث حتى أن أحدهم صار قائد الرماة الكوشيين، وقد إمتد نفوذ رماة القوس الكوشيين على مصر، وصاروا يدبرون الانقلابات العسكرية لتغيير السياسة المصرية. يتضح ذلك جلياً في مؤامرة الحريم التي حدثت في عهد الفرعون رعمسيس الثالث، فقد ساعد أحد هؤلاء الجنود (بين-إم- واست) الذي كان قائداً لرماة القسي في كوش في المؤامرة التي حيكت ضد الفرعون رعمسيس الثالث، ومع أن الفرعون نجا من عملية الاغتيال، إلا أن ما حدث يبين الدورالكبير الذي صار يلعبه الكوشيون في السياسة المصرية (Goedicke, 1963,p. 78).

تولى عرش مصرخلال تلك الفترة فراعنة حكموا مدداً قصيرة حتى عصر رعمسيس الحادي عشر، وهو آخر سلالة الملوك الرعامسة، حكم بعد بداية تدهور السلطة الملكية وزيادة نفوذ كهنة آمون (رمضان،325،2001). كان رعمسيس الحادي عشرأحد الملوك الذين لم يقوا على إخماد الثورات وإسكات الشغب بسبب ضعفه، مقابل هذا الضعف السياسي ازدادت قوة كهنة آمون الذين كانوا يسيطرون على مناجم الذهب

في بلاد كوش بالإضافة إلى الكنوز التي كانت بداخل معابد طيبة، فبدأوا في الثورة ضد الفراعنة، فكان أن اندلعت الثورة التي تزعمها كبير كهنة آمون في عهد رعمسيس التاسع (1127- 1109 ق.م)، ومنذ ذلك التاريخ بدأت الحروب الأهلية تتنازع البيت الحاكم، فقد قامت ثورة في عهد الملك رعمسيس الحادي عشر وهو آخر ملوك الأسرة العشرين، واشتركت في هذه الثورة بعض العناصر الليبية (Emery,1965,p.204). وقد هاجم الليبيون، كما يزعم البعض، طيبة في عهد رعمسيس الحادي عشر، وانتشروا في الدلتا في إتجاه فرع رشيد، حيث كان ملوكهم أصحاب السيادة في الأسرة الثالثة والعشرين (يويوت،1966،ص.142).

دور الجنود الكوشيين في مصر :

لعب بعض الجنود الكوشيين المرتزقة دوراً مهماً في الوقت الذي شهدت فيه مصر بعض الاضطرابات بسبب التغيير الأسري، كالجندي المسمى (واح آب)، وهو لم يكن أميراً، إنما كان أحد أفراد الميجايو، لكنه ولمكانته المعروفة في مصر إتخذ إسماً مصرياً، كما حارب الجنود الكوشيون في خلال عهد الأسرة الحادية عشرة (2050—1991 ق.م) في الجيش المصري في آسيا (سليم،ج.10،ص. ص113-116)، أيضاً عُرف استخدام الجنود الكوشيين في الحرس الملكي خلال المملكة الحديثة (1576-1085 ق.م) (مهران،1979، ص.108)،)، جدير بالذكر أن مصر استطاعت من قبل عهد الملك رعمسيس الحادي عشرأن تبسط سلطانها على أماكن بعيدة في آسيا بمساعدة القوة الحربية الهائلة التي استمدتها من بلاد كوش الزاخرة بالرجال الشجعان، وأيضاً انتقل الجندي الكوشي حتى بلاد الرافدين محارباً مع الجيوش المصرية .(عبد العزيز،1970،ص.98). واستخدم أوسركن الأول (924-889 ق.م) خليفة شيشنق الأول (945-924 ق.م) قائداً كوشياً اسمه زراح في جيشه الذي أرسله ضد مملكة يهوذا سنة 897 ق.م (Kitchen,1976,p.30). ولابد أن ذلك لايعكس فقط ما تميز به الجنود الكوشيون من شجاعة وبسالة

ومقدرات عسكرية، إنما يعكس ما أولاه الملوك المصريون من ثقة في هؤلاء الجنود الكوشيون.

القائد العسكري الكوشي بانحسي:

نتيجة للأحوال المتردية في مصر في أوآخر الأسرة العشرين والسابقة الذكر تهيأت الظروف لظهور رجال لامعين من أهل بلاد كوش وقادة في كل المستويات، و تعتبر شخصية بانحسي (1120-1100 ق.م) (وتعني في اللغة المصرية القديمة الأسود) واحدة من تلك من الشخصيات الكوشية التي لعبت دوراً بارزاً في التاريخ المصري، فقد استطاع بكفاءته أن يرتقى إلى أرفع منصب في بلاد كوش في ذلك الوقت وهومنصب ابن الملك في كوش(بكر،1968،ص.56)، ولابد أن نذكر أن وظيفة ابن الملك في كوش كانت من الوظائف الإمبراطورية العليا وأن من يشغلها كان يمثل سلطة الحكم ويمثل الملك نفسه (أحمد قدري،25،1982).

كان الفراعنة في عهد المملكة المصرية الحديثة يهتمون بأمر بلاد كوش وأهلها لدرجة أن بانحسي قد عُين في عهد الفرعون رعمسيس الحادي عشر في وظيفة إبن الملك في كوش إرضاءاً لأهلها الذين كانوا على وشك الانفصال عن مصر، وقد لعب بانحسي دوراً مهماً في عصر النهضة التي قامت في تلك الفترة لإصلاح ما أفسده الفراعنة الضعفاء (سليم،ج.8،ص.ص.550-585).

لم يكن تعيين بانحسي في وظيفة ابن الملك في كوش تعييناً غير مدروس، فقد كانت وظيفة ابن الملك في بادئ نشأتها تمنح إلى رجال ذوي تجارب حربية، وكان القائمون بها رجالاً يحملون ألقاباً حربية، لكن في أوائل عهد الأسرة العشرين، صار يشغلها إداريون لهم تجارب حربية، وكان تُوضع تحت تصرف الحاكم فرق من الجنود لقمع أي عصيان أو ثورة، ويبدو أنه في أوآخر الأسرة العشرين أن بلاد كوش كانت تريد أن تُضعف من النفوذ الفرعوني على أراضيها، لذلك كان لازماً على الفرعون أن يعين جندي ميدان نائباً عنه في حكم هذه البلاد ليقبض على زمام الامور ويقضي على الثورات (سليم،1992،ص.174). فكان بانحسي هو الشخص المناسب لهذه المهمة فقد استطاع بفضل كفاءته أن يصل إلى أرقى مناصب الدولة

وهو منصب إبن الملك في كوش وهي وظيفة مصرية كان لايشغلها إلا المصريون فقط، مع أنه لم يكن مصرياً كما ذكرنا سابقاً، وهذا واضح من إسمه.

ورد إسم بانحسي في بعض أوراق البردي، وفي معبد بوهين، وقد حمل عدداً من الألقاب مثل حامل المروحة على يمين الملك، وكاتب الملك، وقائد الجيش، والمشرف على مخازن الغلال، وإبن الملك صاحب كوش، والمشرف على الأراضي الجنوبية، والرئيس العظيم للخزانة، والأمير الوراثي والحاكم ومدير بيت آمون (Reisner,1920, P.51). وربما كان بانحسي يدير شؤون جيش الملك (سليم،ج. 10، ص.375)، مما يدل على أن بانحسي كان يقوم بأداء وظائف مهمة في الإدارة المصرية. ويلاحظ هنا الاستمرار في استعمال نفس الألقاب التي بدأت في عهد الفرعون أمنحتب الأول (1527- 1506 ق.م) عندما عين توري كأول نائب للملك في كوش(Reisner,op.cit ,p.29)، مما يدل على أن بانحسي كان مكان ثقة الفرعون، ومع أنه أجنبي لكنه حمل نفس الألقاب التي كان يحملها المصريون، وربما لهذه الثقة انحاز بانحسي للفرعون عندما قامت الثورة ضده كما سنرى لاحقاً. وهنالك حقيقة لابد من ذكرها وهي أن نائب الملك في كوش كان يعينه الفرعون بنفسه، لهذا لم يجعل الوظيفة وراثية، ويبدو أن بقاء هذا النائب في منصبه أوعزله كان على حسب رغبة الفرعون (سليم،ج.5،ص.176).

يعتقد قاردنر ويوافقه في الرأي كثير من الكتاب أن بانحسي ربما كان من أهل منطقة عنيبة بالنوبة السفلى، وقد كانت حينذاك المركز الرئيس لإدارة بلاد كوش ومقر نائب الملك (Gardiner,1961,pp.302). نشأ بانحسي حسب شواهد الأمور في تلك المدينة، و قد عثر شتايندروف في الجبانة المشار إليها بحرف (S) على قبر يحمل إسم بانحسي، وهي جبانة مصرية أُقيمت في منبسط الصحراء (Steindorff:1937:p.241)، ونسبة لأنه لم يعثر في طيبة أو غيرها على أي قبر له، لذلك يصبح من الممكن افتراض أنه دُفن في جبانة عنيبة، (بكر، المرجع السابق،ص.57).

كما هو الحال عند الملوك الكوشيين الذين كانوا يفضلون الدفن في مسقط رأسهم.

تدل الوثائق على أن بانحسي ظل موجوداً في مقر عمله بكوش حتى العام السابع عشر من حكم رعمسيس الحادي عشر(Pleyte&Rossi,1869-1876,p.87,pl.LXV1) يزهو بثقة الفرعون رعمسيس الحادي عشر حين كلفه بتسهيل مهمة أحد رجاله الذي أرسله إلى منطقة الشلالات، فقد أرسل الملك خطاباً لنائبه بانحسي ليتعاون مع رسوله في المأمورية التي كُلف بها (سليم،ج.8،ص.551)، مع أن محتويات هذا الخطاب ليست من الأهمية بمكان، إلا إنه ذو قيمة تاريخية، بسبب أنه يكشف عن التطور في سلطة نائب الملك ببلاد كوش.

جاء في خطاب الفرعون بعد ذكر ألقابه الآتي (أمر ملكي لإبن الملك صاحب كوش، وكاتب الملك للجيش، والمشرف على الغلال – بانحسي- قائد رماة الفرعون، له الحياة والفلاح والصحة: إن أمر الملك قد حضر إليك، إذهب..... خلف مدير البيت ساقي الفرعون، له الحياة والفلاح والصحة، وأجعله يقوم بتنفيذ مأمورية الفرعون، له الحياة والفلاح والصحة ، وهي التي أُرسل لتنفيذها في الإقليم الجنوبي، وعندما يصلك مكتوب الفرعون سيدك (أي هذا الخطاب)، اجتمع به لتجعله يقوم بعمل مأمورية الفرعون، له الحياة والفلاح والصحة، وهي التي قد أُرسل من قبلها (سليم،المرجع السابق، ص.ص.550-551) ما جاء في هذا الخطاب يؤكد أن بلاد كوش كانت خاضعة لسلطات الفرعون رعمسيس الحادي عشر، وأن نائبه بانحسي كان لا يزال صاحب قوة ونفوذ.

تأكيداً لدوربانحسي، وما كان يؤديه من مهام إدارية نجد مثلاً آخراً، فقد ورد في بردية تورين الخاصة بالضرائب، وهي مخطوطة بمتحف تورين نشرها قاردنرفي كتابه الخاص والمعروف بالمتون الإدارية عن عصر الرعامسة (Gardiner,1941, pp.35-44) تحتوي هذه البردية على تقرير وضعه

الكاتب المسمى تحتمس عن جمعه للضرائب من أماكن مختلفة في الإقليم الجنوبي لطيبة، وتورديها للمخازن الخاصة بها في طيبة نفسها، جاء ما يهمنا في الصفحة الأولى من التقرير. حيث ذكر فيها(وثيقة إيصالات حنطة أرض "خاتو" ملك الفرعون من يد كهنة معابد الوجه القبلي، أمر حامل المروحة على يمين الملك، الكاتب الملكي، القائد، والمشرف على مخازن غلال الفرعون، إبن الملك، صاحب كوش، المشرف على الأراضي الجنوبية، وقائد جيوش الفرعون "بانحسي" بأن يتم توريدها)(سليم،ج.8،ص.585).

القائد الكوشي بانحسي ودوره في القضاء على ثورة الكهنة:

لم يتول كرسي الكاهن الأكبر منذعهد الفرعون رعمسيس الثالث حتى عهد رعمسيس الحادي عشر إلا ثلاثة كهنة، وهم رعمسيس نخت ونيسامون ثم أمنحتب، وكلهم من أسرة واحدة. كانت فكرة استيلاء عرش الملك من الرعامسة قد سيطرت على أذهان أسرة الكهنة منذ فترة، واستولت على تفكيرهم، وقد كان الكاهن الأكبر أمنحتب شخص ذو قوة عظيمة، استطاع أن ينتزع من الفرعون الضعيف رعمسيس الحادي عشر ألقاب شرف وسلطات تفوق حد المألوف، وللحد الذي يمكن القول إنها وضعته فوق الفرعون، وربما كان يسعى أو حاول الاستيلاء على العرش نفسه (سليم،ج8، ص.ص.532-533). وعلى سبيل المثال صُور الكاهن الأكبر أمنحتب على جدران معبد الكرنك في نفس حجم الفرعون رعمسيس التاسع وهي إساءة لم يرتكبها أحد الرعايا من قبل، وتتناقض مع المبادئ المستقرة في الدين والفن في مصر القديمة، مما يشير إلى أن الفرعون لم يعد يبدو في أعين رعاياه ذو طبيعة مقدسة (أحمد قدري،المرجع السابق،ص.304).

رغم قلة المادة التي تم الحصول عليها من قبرالقائد الكوشي بانحسي في عنيبة، إلا إنه يمكن الاستفادة من المصادر المصرية خلال فترة الرعامسة، والتي تشير إلى أن أمور البلاد كانت تسير من سيئ إلى أسوأ، وأن الثوره قد عمت مصر في فترة الملك رعمسيس الحادي عشر، وأن الأجانب قد أسهموا في هذه الثورة خاصة الليبيين، (Arkell,1961,p.108)، وربما اشترك كهنة آمون في هذه المؤامرة

روحياً ومادياً قاصدين من وراء ذلك قهرملوك الدلتا، فقداستغل الكهنة الفرصة وإنضموا إلى المؤامرة ليثأروا من هؤلاء الملوك لأنهم نقلوا عرشهم إلى هناك بعيداً عن مركزآمون في طيبة، كما أنهم رفعوا من شأن إلهها المحلي ست، فضلاً عن شأن الآلهة الكبرى الأخرى، حتى غدا الإله آمون ليس الإله الوحيد، (مهران، 1989،ص276-277). وقد ذكر مانيثو*(Manetho)[1] تلك الثورة في قصة طويلة مخصصة لهذا العصر ونقلها عنه يوسيفوس*[2]، وفحوى تلك القصة أن حرباً أهلية إندلعت ربما لسبب ديني كان يؤيدها أنصار الإله ست في الشمال ضد أنصار الإله آمون في الجنوب في طيبة ولكن انتهت بهزيمة أنصار الإله ست وقُضي عليهم (رمضان،المرجع السابق، ص.326). وهنا لابد من القول إن الكهانة القوية والنفوذ اللامحدود لكهنة آمون كان يشكل خطراً قوياً محتمل الوقوع على الفراعنة الضعاف، وخير نموذج لذلك ما قام به الكاهن حري حور لاحقاً في آخر أيام الأسرة العشرين كما سنوضح لاحقاً.

حدثت تلك الثورة ما بين السنة الثانية عشرة والخامسة عشرة من حكم الملك رعمسيس الحادي عشر(Wilson,1963,281)، وقد اشتركت فيها عناصر أجنبية، ليبيون بصفة خاصة. تكاتفت عوامل الضعف وكثر أعداء الدولة وأخذوا يطبقون عليها من كل الجهات تقريباً، وأصبحت البلاد مهددة بالحروب الأهلية، فاستنجد الملك رعمسيس الحادي عشر ببانحسي إبن الملك في كوش وجيشه الكوشي، فقد كان القائد بانحسي على إتصال وثيق بمصر العليا، ولم تكن هنالك في البلاط قوة تستطيع السيطرة على الفوضى العصيبة، وطلب منه أن يحضر جيشه ليقضي على الاضطرابات، وإعادة النظام (دريوتون،ص.403). ويبدو من هذا التصرف أن الملك كان يعتمد علي بانحسي وعلى جيشه في الشدائد وإرساء قواعد الحكم، مع أن ذلك يذهب بهيبة الفرعون خاصة إذا كان ضعيفاً (عبد العزيز ،المرجع السابق، ص.94).

---

1 - مانيثو كاهن مصري عاش في عصور حكام البطالمة الأوائل (أوآخر بطليموس الأول وخلال عهد بطليموس الثاني في القرن الثالث قبل الميلاد) وكتب تاريخ مصر في ثلاثة أجزاء، الجزء الأول عن التاريخ والثاني عن الديانة والثالث عن الحياة الاجتماعية وملاحظاته الشخصية.

2 - كاهن أورشليم ومؤرخ اليهود، كان عالماً في مجالات مختلفة، كتب تاريخ العالم والحضارات القديمة من ناحية علاقة اليهود بمختلف الشعوب والحضارات القديمة.

استجاب القائد الكوشي بانحسي للنداء، ربما لأنه كان منحازاً للملك، ووصل إلى مصر العليا للقضاء على الليبيين الذين تفاقمت قوتهم في هيراكليوبوليس(Herakleoplis) (Emery,op.cit ,p.204)، فقد قام رجال من قبيلة المشوش (اللوبية) من قلعة الجبلين الواقعة جنوبي طيبة بالهجوم على المقاطعة السابعة عشرة من مصر الوسطى، و سقطت عاصمتها الإغريقية (سينوبوليس) (Kees,1936,p.)، تقدم القائد بانحسي واجههم وقاد القتال بنفسه في الجزء الشمالي من مصر مخرباً، عاصمة المقاطعة السابعة عشرة، وقد حاربت الفرق الكوشية والطيبية تحت قيادته ضد الأسرات اللوبية المتزايدة التي كانت معسكرة في هيراكليوبوليس (بيكي،1994،ص.605)، وتدل شواهد الأحوال أن بانحسي قد حارب أسرة الليبيين التي كانت وقتئذ في طور التكوين، وأن الحرب وقعت في جهة (كينوبوليس – هارتاري) الواقعة بالقرب من هيراكليوبوليس، فقد كان بانحسي القائد الأعلى للجيش إلى جانب كونه نائب الملك في كوش، وقد تمكن من إعادة النظام في طيبة. استفاد الملك رعمسيس الحادي عشرمن هذه الثورة إذ أُبعد رئيس كهنة آمون أمنحتب صاحب السلطان العظيم بعد أن تغلب عليه بانحسي وجنوده (سليم،ج.10،ص.450).

رغم استنجاد الفرعون رعمسيس الحادي عشر ببانحسي واعترافه بقوته واعتماده عليه، إلا إن بانحسي لم يحاول استغلال الموقف لصالحه، مع أنه كان يمثل القوة الوحيدة الباقية في وادي النيل آنذاك، فقد تصرف بانحسي بأمانة ونكران ذات، ولم يستغل نفوذه كنائب للملك في كوش، وكأكبر قوة موجودة، بل ظلت كوش على ولائها لمصر طوال سنوات الضعف السياسي الذي أصابها على أيام الرعامسة (بكر، المرجع السابق، ص.59). بعد أن تمكن القائد الكوشي بانحسي من القضاء على أغلب مظاهر الفوضى في طيبة ومصر الوسطى بالقوة العسكرية، عاد إلى مقر عمله في عنيبة (حسين،1989، ص.89).

وهكذا أستطاع بانحسي أن يحفظ لمصر وحدتها ويصونها من التردي في الهاوية، وتوجد من بين المخلفات التي تعود لعهد الملك رعمسيس الحادي

إشارات إلى ما تم على يد القائد الكوشي بانحسي، ففي بردية (ماير. أ)(Mayre.A) والمحفوظة بمتحف ليفربول ومؤرخة بالسنة التاسعة عشرة من حكم ذلك الملك، تكشف عن حرب المقاطعة الشمالية، وعن لحظة عصف فيها بانحسي بمدينة (حارادي)، وهي مدينة سينونبوليس الإغريقة، عند أو قرب قرية الشيخ فضل الحالية. كتب إسم بانحسي بطريقة تؤكد أنه كان عدواً للموالين لطيبة، ويشير عدم إرداف أى لقب إلى إسمه أنه كان شخصية معروفة، و يذهب بعض الباحثين إلى أن ما قام بانحسي لا يمكن تفسيره إلا على أساس أنه وجيوشه قد تدخلوا ضد كبير الكهنة أمنحتب، وإحتلوا طيبة والمناطق المجاورة لها مقتفين أثر كبير الكهنة وجيوشه، وأن رعمسيس الحادي عشر قد قبل راضياً تدخل بانحسي، بل إنه قد إلتجأ إليه بوصفه القائد العسكري الوحيد القادر على كبح جماح كبير الكهنة أمنحتب، ووضع حد للثورة التي حدثت ضد الملك رعمسيس الحادي عشر، مما يشير إلى تدهور الأوضاع في مصر، خاصة أن الملك لجأ إلى حاكم كوش بانحسي ليقف إلى جواره ضد كبير الكهنة الذي تكدست بين يديه الثروة وزادت قوته ونفوذه وجرأته، واستعان بجنود كوشيين وليبيين مرتزقة في ثورته على الملك (مهران ،1993،ص.330-331).

تزامن مع الأحداث السابقة إضراب عمال جبانة طيبة بسبب القحط الذي حدث في عهدي رعمسيس العاشر، ورعمسيس الحادي عشرووقع نهب في المدافن الملكية، وعصيان الجنود المرتزقة الذين هاجموا المعابد، ومما زاد في إرتباك الحالة أنه لم يكن في مقدور أمنحتب الكاهن الأكبر لآمون أن يسيطر عليها (بيكي، المرجع السابق، ص.605). وقد تم الكشف في مدينة هابو على رؤوس سهام وأسنة رماح من العاج، وهو ما يشير إلى وجود قوات كوشية هناك ربما تم تجنيدها من بين السكان، احتمالاً أولئك الذين هاجموا من قبل مصر تحت قيادة نائب الملك الكوشي بانحسي.

برزت شخصية بانجسي مرة أخرى في قضية سرقة المدافن الملكية في تلك الفترة، وفيما يبدو أنها كانت شخصية محورية، فقد أشارت المحاضر القضائيه

الخاصة بعملية سرقة القبور أواخر أيام الرعامسة الى إجراءات الأمن القوية التي قام بها بانحسي، فقد ذكر أنه قام بقتل بعض اللصوص الذين ثبتت عليهم تهمة السرقة، وفي مكان آخر من المحاضر القضائية يقول أحد اللصوص وهو يبرئ نفسه من سرقة نحاس من بيت الفرعون، لقد تركت بيت الفرعون عندما أتى بانحسي وارتكب أعمال عنف مع الضابط رئيسي مع أنه لم يكن فيه تلف (أي البيت)، والفقرة الثانية جاءت في ورقة (ماير أ)(صفحة 4- سطر5) حيث نجد متهماً يقول لقد هربت أمام إجرام بانحسي عندما ارتكبه (سليم،ج.8،ص.528).

بعد القضاء على ثورة الكهنة تقول المصادر أن بانحسي هُزم من قبل عناصر مناوئة للملك فاضطر للتقهقر لبلاد كوش واستقر في مدينة عنيبة، وتوفي ودفن بها(Gardiner,op.cit, p.302&Haycock,1965,p.463)، هذا التفسير يبدو مناسباً لما عُرف من القادة الكوشين من الإخلاص الشديد لرؤسائهم، هذا في حين أن بعض المؤرخين يرون أنه بعد قضائه على أعداء الملك طمع في الحكم فتصدت له قوات حكومية وهزمته، ومن ثم هرب جنوباً إلى بلاد كوش، ولكن لايُوجد من المعطيات الآثارية ما يدعم هذا الرأي، وقد رأى بعض المؤرخين في نائب الملك في كوش بانحسي الشخصية الرئيسية التي برزت ضد الكاهن الأكبر أمنحتب، فقد جند بانحسي أرقاء المعبد إلى جانبه، وإنتهت هذه الثورة بإختفاء أمنحتب من مسرح الأحداث نهائياً (سمير،1997، ص.220).

هكذا انحاز بانحسي مع جنوده الكوشيين إلى جانب الفرعون رعمسيس الحادي عشر (سليم،ج.10،ص.312)، واضعاً بانتصاره على الكاهن الأكبرأمنحتب حداً للفوضى التي سادت البلاد وقتها، ولم يستطع الفرعون بسبب ما أصابه من ضعف مواجهتها لوحده، فلجأ إلى بانحسي إبن الملك في كوش، الذي تمكن من حماية الملك والقضاء على خصمه، وهذا يؤكد أن الجيش الكوشي كان على درجة عالية من الكفاءة مكنته من إنقاذ مصر من خطر ثورة الكهنة. ومن الحقائق العظيمة والتي لابد من ذكرها أنه وُجد على التوابيت الخشبية التي تُنسب للكاهن الأكبر أمنحتب والموجودة في متحف اللوفر، عدد عظيم من ألقابه الدينية، إلا إن لقب الكاهن الأكبر لم

يُذكر من ضمنها، ومن ثم يمكن استنباط أنه عند موته لم يكن هناك من يشغل منصب كبير كهنة آمون، ومن المحتمل أنه قد حل محله وقتئذ الكاهن الأكبر حريحور (سليم،ج.8.ص.503). الذي تم له ذلك في ظل حماية الجنود الكوشيين التابعين لنائب الملك بانحسي (سليم: ج.10،ص.450).

أخذ حري حور وفي السنة السابعة عشرة يتابع الأعمال التي قام بها بانحسي، فتقلد أعمال إبن الملك في كوش(Kitchen,1976,pp.4-5)، كما تقلد وظيفة القائد الأعلى للجيش في طيبة، ووزارة الوجه القبلي، وغير الهيئة العليا لكبار الموظفين الإداريين (بيكي، المرجع السابق، ص.605)، وبذلك جمع بين وظائف نائب الملك في كوش والكاهن الأكبر لآمون في آن واحد، وهنا لابد أن نذكر أن حريحور صعد في مدارج القوة هو وأسرته بسبب نفوذه وسلطانه الحربي لا بسبب قوته الدينية فحسب.(سليم،ج.8.ص.548) وتملك عرش البلاد لاحقاً و استولى على عرش الملك رعمسيس الحادي عشر، وبعد أن وطد حكمه في مصر العليا وفي الأجزاء الشمالية من بلاد كوش، لكن حريحور لم يتمكن من السيطرة على مصر السفلى التي اندلعت فيها الثورة.

تلقب حريحور بعدة ألقاب مثل "قائد الجيش " أو القائد الأكبرلجيش مصر العليا والسفلى، ولكن هذه الألقاب ربما أملتها الضرورة، إذ أن الباعث لها كان إستيلاؤه على ألقاب التشريف التي كانت لبانحسي الذي كان ابن الملك في كوش قبله، وإن كان من غير المحتمل أنه مارس الحكم في كوش، كذلك إنتحل لقب الوزير، ربما وصل حريحور لهذا المنصب لشخصيته القوية، أو لأنه في رأى البعض كان من الموالين لبانحسي. وقد كان من الغريب ظهور حريحور في مواقع كان من المفترض أن يظهر فيها الفرعون، فمثلاً قام حريحور بتزيين قاعة الأعمدة في معبد الإله خنسو، وقد وُجد إسمه في كل مكان كالجدران الأربعة للقاعة والأعمدة، وكان إسمه بارزاً بدرجة عظيمة مضارعاً إسم الفرعون إن لم يكن يفوقه، كانت المناظر التي تزين الجدران تمثل كالعادة صور عبادة وتقديم قرابين،

غير أن القائم بتقديمها لم يكن الفرعون في كل الأحوال، إذ نجد أن حريحور- في ست حالات كان يحل محل الفرعون (سليم،ج8،ص.ص.610-611) مما يوحي بسلطات جديدة حاز عليها حريحور، لم تكن من حق كبير الكهنة من قبل. لا يمكن تفسير ذلك إلابأن الملك قد أصبح ضعيفاً لا وزن له في عاصمته. (Breasted,1962,vol.111,para.605)، وربما تمكن من ذلك معتمداً على مساندة بعض الكهنة الذين وقفوا بجواره (رمضان، المرجع السابق،ص.325). ولاحقاً كشف حريحور عن نواياه فقد صُور وعلى جبهته الصل المقدس الخاص بالملوك، وفي أماكن أخرى ظهر واضعاً التاج المزدوج وانتهى به الأمر بأن إتخذ ألقاب الملوك ووضع إسمه داخل خرطوش (عبد الحميد،1966،ص.785). رغم حرص حريحور على الزي الكهنوتي (مهران، المرجع السابق ،ص.344-345)، وقد أطلق حريحور على فترة حكمه اصطلاح "عصر النهضة"، وأخذ يؤرخ الحوادث طبقاً لهذا العصر ورضي رعمسيس الحادي عشربالأمرالواقع مغلوباً على أمره (سمير،1997،ص.221) لأنه كان ملكاً إسمياً فقط وبالتالي انتهت الأسرة العشرون.

جدير بالذكر أن بانحسي حمى رعمسيس الحادي عشر فلم يجرؤ أحد على التطاول على العرش الا بعد وفاته، فقد قام حري حور بعد وفاة بانحسي بالاستيلاء على عرش رعمسيس الحادي عشر وساعده على ذلك الثروه والقوة العسكريه التي كانت في يده، فقد وضع وظيفة قائد الجيش في يده قبل أن يصبح ملكاً (Reisner,1919 ,PP.83-84) ومع أنه كان قائداً للجيش لكنه لم يستطع مد نفوذه على كل مصر واستمر حاكماً على مصر العليا(Breasted,1962,vol.111,para.605). وبدأت بعهده أسرة جديدة من الحكام في مصر، وانتشرت الفوضى، وبدأ عصر مظلم في بلاد كوش واستمر حتى القرن الثامن قبل الميلاد حين برزت فيها مملكة نبتة.

المراجع العربية :

أحمد قدري : المؤسسة العسكرية المصرية في عصر الإمبراطورية 1570-1087 ق.م، مطبعة هيئة الآثار المصرية، ترجمة جمال السويفي ومحمد العزب موسى، 1982، القاهرة.

إيتين، دريوتون وجان فانديه، مصر، مكتبة النهضة الحديثة، القاهرة ، من غير تاريخ.

جان يويوت : مصر الفرعونية، ترجمة سعد زهران، القاهرة،1966.

جيمس بيكي: الآثار المصرية في وادي النيل من فيلة إلى الخرطوم،الجزء الخامس، ترجمة نور الدين الرازي،1994.

حسين عبد العال مراجع : العلاقات الليبية الفرعونية ، منذ عصر ما قبل الأسرات حتى بداية حكم الليبيين لمصر، دار أماني للطباعة والنشر والتوزيع طرطوس،1989.

رمضان عبده علي ،تاريخ مصر القديم، الجزء الثاني، مطابع دار نهضة الشرق للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،2001م.

سليم حسن : مصر القديمة، الجزء الخامس، السيادة والتوحيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية،1992.

: مصر القديمة، الجزء.الثامن ، نهاية عصر الرعامسة وقيام دولة الكهنة في عهدالأسرة الواحدة العشرين،الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية،1992.

: مصر القديمة، الجزء العاشر، تاريخ السودان المقارن إلى أوائل عهد بعنخي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1994.

سمير أديب : تاريخ وحضارة مصر القديمة، دار المعارف، القاهرة، 1997.

عبد العزيز صالح وآخرون : تاريخ مصر عبر العصور – تاريخ مصر القديمة – الهيئة المصرية العامة للكتاب،1997.

عبد الحميد زايد، مصر الخالدة، دار المعارف، القاهرة، 1966.

عبد العزيز عبدالغني : تاريخ الحضارات السودانية القديمة، شعبة التاريخ، قسم المناهج والكتب،1970.

محمد إبراهيم بكر : المدخل إلى تاريخ السودان القديم، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، 1968.

محمد العزب موسى : وحدة تاريخ مصر ،الطبعة الثانية ، المركزالعربي للصحافة، القاهرة. 1980.

محمد بيومي مهران : إخناتون عصره ودعوته، الجزء الرابع من سلسلة دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،1979.

_____ : الحضارة المصرية القديمة، الجزء الثاني، الحياة الاجتماعية والسياسية والعسكرية والقضائية والدينية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989 .

_____ : مصر، الجزء الثاني، من قيام الملكية حتى قيام الدولة الدولة

الحديثة،دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،1993.

نبيلة محمد عبد الحليم : معالم التاريخ الحضاري والسياسي في مصر الفرعونية الإسكندرية، منشأة دار المعارف، القاهرة ،بدون تاريخ.

المراجع الأجنبية:-

Arkell, A.J., A History of the Sudan from the Earliest Times to 1821, University of London,the Athlone Press,London,1982.

University of London,the Athlone Press, London,1961.

Breasted, J.H., Ancient Records of Egypt, Vol.111, Russel and Russel,New York,1962.

Emery, W.B., Egypt in Nubia, Hutchinson,London,1965.

Gardiner,A.H. Egypt of the Pharaohs, The Clorendon Press, Oxford,1961.

: Ramesside Texts Relating to the Taxation and Transport of Corn,JEA,Vol.XXV11,1941,London,(PP.22-37).

Goedicke,H., " Was Magick Used in the Hareem Conspiarcy against Ramses 111" JEA,Vol.49,London,1963(pp.86-91).

Haycock,B.G., "The Kingship of Cush in the Sudan" CSSH,Vol.7,No.4, Hague ,1965(pp.461-480).

Kees,H., Herihor und die Aufrichtung des thebanischer Gottesstates Nachrichten Zu Gottingen,1936.

Kitchen,K.A., The Third Intermediate Period in Egypt,Alden Press,Oxford,1973.

Pleyte,W.&Rossi,F., :Paprus de Turin,Leiden,1869-1876.

Reisner,G.A., Outline of the Ancient History of the Sudan, ,The First Kingdom of Ethiopia,its Conquest of Egypt and its Development Into a Kingdom of the Sudan (1100 -750 B-C),SNR.Vol.11,Part, 1V,Cairo,1919 (pp.35-67).

:"The Viceroys of Ethiopia", JEA,Vol.6,1920,London (pp.28-55 & 73-88).

Steindorff,G. : Aniba,Vorlaufiger Bericht uber die Ergebnisse Der indenJahren,1912-1914 und 1930-193,Vols. 1-11, 1935-1937.

Wilson,J.A. The Culture of Ancient Egypt ,Chicago,1963.